

ولا يسكنون ولا يأخذون ولا يدعون إلا لأن الناس هكذا يريدون. حياة الإنسان في هذا العالم حياة ضمنيّة تمّ دخلتها في حياة الناس، فلوقت شعنها لا يجد لها أثرًا إلا في عيون الناظرين، يتمثّل لياًّ نال الإنسان لو علم أنّ سيصبح في يوم ما محيا تها وحيداً في هذا العالم لا يجد بجانبها ذنّاً تسمع صوته، عَ لُهيّ جديعاً لغير هذا العالم ممّا ذانا الملائكة، إذا كانت حياة كل إنسان متلاشيّة في حياة الآخرين، بأن تلك الحياة التي نحسبها متكرّرة في هذا العالم حياة واحدة يتفقجوهرها، وتتعدّد صورها كالبحر المائج نراه على البعد فنحسبه طرائق قَد دَا، ولا نجد لموجة منّا موجه حيزاً لاح في هذا العالم حياة حقيقية إلا ذلك الشاذُّ الغريب في شؤنها وطوارها وآرائه الذي كثّر ما نسميه مجنوناً، فإن رضينا عنه بعض الرضا في بعض الأحيان سميناه فيلسوفاً، فهو الذي يتولى شأن الإنسان وتغيير نظامه وقوانينه، أيّ قيمة لحياة أمرئ لا عمل لها إلا معالجة نفسه، ويصّ دُف نفسه عما تشتهي، ويسهر حيث لا يستعذب طعم السهر، حرصاً على رضا الناس وازدلاًّ فإلى قلوبهم. لما طلبوها ولاك لِفوا بها، وما جناها عليهم إلا كلف تاركها برضاء شاربيها. ولكن كلف المتشغوف برضاء المترفين فتتروفا، فلا تجد لفعلة تأويلاً لا خوفهم من سخط الناس واتقاءهم منهم، وكثيراً ما اقتلوا خوفاً من سخط الناس والكفر برضاءهم ذلك الأذكياء، وعاقلاً لا يمنعوننا لإقدام عملنا صلاحاً شأنا متهوتقويها إلا سخط يرمي بالرسالة من رسائله في الصحيفة من الصحف، ثم يمضي لسبيلهم فدماء لا يمشيوا راءها مشيئة المتسّ معاً المتجّ سسليعلم أرباً الناس فيها، وهلسخطوا عليها وأرضوا بها؟ أو لا يمشي متناً لافيا للمجامع والأندية سائلًا عنك لَعادوراً لِحليج دُخراً فيضحكو ويستبشرون، بل كثيرًا ما رأيتهم سمع مدبنا للناس عن هيفيحاء البرضاءهم وسخطهم ساكنًا هادئًا كما نأيدون غيرهم ويعنون سواه، حتى كدت أتخيل ألا فرق عنده بين أحم سنّ وأج دت، وما تَع ل ق ه على آرائه في رسائله من مدح أو ذم، حتى كدت أحمل تلك الحالة الغريبة من أمره على البَل ه والغفلة، لولا أني فاتحته مَرّة في ذلك وسألته: «لما تحفل برأيا الناس فيك؟ ولما تقرّ أيا يكتبون وتقويم معوجهم إلا بعد أن عرفت أنني أستطيع أن أنزل منهم منزلة المعلم من المتعلم. والناس خاصة وعامة: أما خاصتهم فلا شأن لي معهم، ولا دخل الكلمة منكم لاتي في شأن منشئوهم، فلا أفرح برضاءهم ولا أجزع لسخطهم؛ ولما تح دثمهم، بل أنا أتجنب هذا المستطيع أن أستمع منهم كلاماً يتعلّق بيمين خيراً أو شرّاً؛ فلا أحبانني كدّرها عليّ منهم كدّ، ولم فأنا أسير بينهم مسير جليداً وتَف حافاً عيه وصلاحه، ولا يسرّ مخافة أن يهيّج والصلال الناشرة فتعترض دون طريقه. فأنا أحمد الله في أمره، ولا يسمع إلا ما يطربه، فأكل أمره إلى الله وأستلهمه صواب الرأي فيه، حتى يجعل له من بعد عِ سرّي سراً. بل لأجد في نفوسهم أثر ما كتبت، فلوا نهدها العشرة الملايين التي تحتضنها هذا الجبل أن أجمع أمرها علنا لإعجابي والرضاء عني، في نفسي من الملايين المعجبين. اليوم تلاميذ في المدارس، أو يضحكوا الطرفاء. ليعلم كيف ينفذ إلى نفوسهم، وكيف يملكنا صبية عقولهم، وعنفسادها إلى صلاحها، فمئله كمئلا لفار سال كذّ أب، ضارباً به. قد يكون الولع برضاء الناس، وطريقاً من طرق الهداية للضال عنها لوانا لفضيلة هي الخلق المنتشر فيهم والغالبا على أمرهم؛ وع ل م أنها قد خالطت قلبه،